

سوسيولوجيا العنف الحضري في خطاب المدارس الفكرية الحضرية - مقارنة نظرية -

Sociology of urban violence in the discourse of urban intellectual school - a theoretical approach -

السعيد رشيد¹ ، كريمة فلاحي²

¹ جامعة سطيف 2 (الجزائر) ، saidrechidi@yahoo.fr

² جامعة سطيف 2 (الجزائر) ، karimafellahi@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2021/03/31

تاريخ القبول: 2020/11/07

تاريخ الاستلام: 2018/11/30

ملخص:

تهدف هذه الدراسة النظرية إلى إعطاء قراءة سوسيولوجية للعنف الحضري في خطاب المدارس الفكرية الحضرية، وهو ما من شأنه أن يساهم في بلورة تصور ووعي بالظاهرة، ومن تفسير الواقع الحضري المعاش. ولذلك خلصت الدراسة ومن خلال مقارنة سوسيو تاريخية إلى جملة من النتائج أهمها: في الوقت الذي تشير فيه النظرية الايكولوجية الكلاسيكية إلى طريقة تكيف الإنسان مع البيئة وأثرها في إنتاج العنف الحضري، من خلال تأكيد روبرت بارك على التنظيم الأخلاقي والفيزيقي للمدينة، ودوره في تشكيل وإبراز ظاهرة العنف الحضري، تؤكد النظرية الايكولوجية السوسيو- ثقافية، على أهمية العامل الثقافي (المشاعر والرموز) في تحديد وتوجيه السلوكيات الإنسانية ومن ضمنها السلوكيات العنيفة، تذهب نظرية الثقافة الحضرية ممثلة في لويس ويرث إلى الربط بين طرق الحياة في مجتمع المدينة، والعنف الحضري، وفي الأخير، نجد النظرية النفسية الاجتماعية تؤكد على أن أشكال التنظيم الحضري تنتج مختلف أساليب الحياة. كلمات مفتاحية: العنف، العنف الحضري، الحضرية، الخطاب.

ABSTRACT:

This theoretical study aims to give a sociological reading of urban violence in the discourse of urban intellectual schools, which would contribute to the development of perception and awareness of the phenomenon, and from the interpretation of urban living reality.

Therefore, the study concluded, through a sociological and historical approach, to a number of results, the most important of which are: that while classical ecological theory refers to human adaptation to the environment and its impact on the production of urban violence through Robert Park's emphasis on the moral and physical organization of the city and its role in shaping urban violence, Socio-Cultural Ecology, on the Importance of the Cultural Factor (Emotions and Symbols) in the identification and direction of human behaviors, including violent behaviors, the urban culture theory, represented by Louis Wirth, links the ways of life in urban society with urban violence. Finally, Social psychosocial stress emphasizes that forms of urban organization produce different lifestyles.

Keywords: violence, urban violence, urbanization, discourse.

1- مقدمة:

مرت المدينة ومنذ نشأتها في أقدم العصور، بمراحل تغير سريعة، ازدادت اتساعا، وعمقا بانتشار التصنيع، وأضافت العولمة بتجلياتها المختلفة، ومنها التحول إلى مجتمع المعلومات، واستخدام الوسائط الاجتماعية المختلفة، تحولات مجتمعية عميقة مست مختلف الفئات الاجتماعية، وأدى هذا التغير السريع بطبيعته إلى ظهور العديد من المظاهر المجتمعية المرضية، وفي مقدمتها ظاهرة العنف، والتي تستفحل تارة وتضمثر تارة أخرى، وهي في مجملها، أساسها التفاوت في درجات التغيير بين الجماعات المختلفة، وانعدام التوازن بين التغير الاقتصادي والاجتماعي في الجماعة الواحدة...الخ.

وبشكل إستثنائي، تعد مشكلة العنف في الأوساط الحضرية، ظاهرة منتشرة في مختلف مدن العالم، ولا تكاد تخلوا منها مدينة من المدن، ففي أمريكا اللاتينية والبحر الكاريبي على سبيل المثال، هناك 400 جريمة قتل كل يوم أو 4 جرائم قتل كل 14 دقيقة. وتؤكد هذه الإحصاءات، وهي جزء من تقرير مرتقب عن العنف أعدته مكتب البنك الدولي لمنطقة أمريكا اللاتينية والبحر الكاريبي، على ضرورة وقف وباء العنف في المدن في مختلف أنحاء العالم (البنك الدولي، 2016).

كما اعتبر البروفيسور رشيد بلحاج الطبيب الشرعي والخبير لدى وزارة العدل أن ظاهرة العنف الاجتماعي اتخذت في السنوات الأخيرة أبعادا مقلقة لكن أكثر ما يثير مخاوف الخبراء هو العنف الذي تمارسه المجموعات والذي أخذ ينتشر بشكل خطير في مجتمعنا. موضحا أن الأمر يتعلق بتشكيل مجموعات من الأفراد في جماعات لممارسة العنف في الأحياء. وأن هذا العنف متمس بالتنظيم والتكرار وبالمواجهات العنيفة بين الكثير من الأفراد لتخلف أعدادا من الجرحى وحتى القتلى في بعض الأحيان" (رشيد بلحاج، 2016). ومهما تعددت بعد ذلك، صورته ومظاهره، من العنف ضد الآخر، إلى العنف ضد النفس، والذي قد يكون صورة من صور التحول الأخلاقي -كما يقول بذلك أنتوني جيدنز-، الذي تميزت به فترة ما بعد الحداثة.

ولهذا تبدل المجتمعات جهودا مضيئة للتغلب على هذه الظواهر الاجتماعية المرضية، والتي تعتبر بمثابة حجر عثرة في طريق تقدمها، ومن هنا أصبحت المدينة والأوساط الحضرية، والحياة الحضرية مجالا لعدة دراسات، تتناولها بالبحث والتحقيق، بهدف تحقيق وتصوير نموذج حضري، وتقف الدراسات السوسيولوجية في مقدمتها. وبينت في هذا الصدد دراسات نفسية واجتماعية وقانونية عديدة أن الكثير من الأسباب والعوامل الاجتماعية الدافعة للعنف تتوافر بشكل أكبر في المدن وخاصة الكبرى منها، كما أكدت دراسات علمية كثيرة العلاقة بين العنف والمكان الذي يرتكب فيه. ومن بين هذه الكتابات، كتابات سوسيولوجية تميزت بينها مدرستين فكريتين هما المدرسة الألمانية وعلى رأسها ماكس فيبر وجورج زيمل والتي رصدت التطورات التي عرفتها المدينة ووظائفها وأثارها على حياة ساكنيها وذهنياتهم. ومدرسة شيكاغو الأمريكية وعلى رأسها روبرت بارك ولويس ويرث والتي ركزت على ثقافة المدينة من خلال علاقتها بالترتيب المكاني وتقسيم العمل فيها، والآثار السلبية الناتجة عنها. وعليه فإن الدراسة الراهنة تحاول الاجابة عن التساؤل الرئيسي التالي: ما هو تصور المدارس الفكرية الحضرية الكلاسيكية للعنف الحضري؟ وما هي مسبباته؟.

2- تحديد مفاهيم الدراسة:

1-2- مفهوم العنف:

العنف في اللغة العربية يشير إلى "قلة الرفق وهو التوبيخ واللوم والتقريع..." (إبراهيم فريد الدر: 1983، ص.358). ولذلك نقول "عنفه تعنيفا، لانه وعتب عليه أي أخذه بشدة" (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: 1989، ص.872). وأصل كلمة العنف "تنحدر من الكلمة اللاتينية "Violentia" والتي تعني السمات الوحشية بالإضافة إلى القوة، وعلى ذلك يعرف

العنف بكونه فعل خشن فظ يهدف إلى الضغط أو إرغام الآخرين" (Gresle f, panoff m et tripier, 1990, p.07.) وإلى جانب ذلك تشير كلمة العنف إلى:

- أ. التأثير على فرد ما أو إرغامه على العمل دون إرادته وذلك باستعمال القوة أو اللجوء إلى التهديد.
- ب. الفعل أو العمل الذي من خلاله يمارس العنف.
- ج. القوة القاهرة للأشياء.
- د. استعداد طبيعي للتعبير عن العنف ضد المشاعر أو العواطف.
- هـ. السمات العنيفة لفعل ما (Robert P, 1978, P.2097).

وبعيدا عن جدل الدلالات اللغوية التي تحملها كلمة عنف في المعاجم والقواميس، فإن العنف يعرف باعتباره القوة العنيفة أو الهادئة التي لا تحترم قواعد النظام (Michaud (Y), 1998, p.03). أما معنى العنف في نظر القانون الجنائي فإن يتصدى له في إطار نظريتين تتنازعان مفهوم العنف: "النظرية التقليدية، حيث تأخذ بالقوى المادية بالتركيز على ممارسة القوة الجسدية، أما النظرة الحديثة – والتي لها السيطرة والسيادة في الفقه الجنائي المعاصر- فتأخذ بالضغط والإكراه الإرادي، دون التركيز على الوسيلة، وإنما على نتيجة متمثلة في إجبار إرادة الغير بوسائل معينة على إتيان تصرف معين" (أبو الوفا محمد أبو الوفا: 2000، ص.08).

2-2- مفهوم العنف الحضري:

يشير مفهوم العنف الحضري والذي تتبناه هذه الدراسة إلى "تلك العمليات التي تقوم بها جماعة أو جماعات بإحداث تغيير في الأوضاع الاجتماعية أو الاقتصادية أو حتى السياسية القائمة على طريق المطالبة بحقوق اجتماعية اقتصادية أو سياسية أو كل ذلك مجتمعا. وذلك باستخدام أساليب هادئة أو عنيفة داخل المحيط الحضري، ومن الطبيعي أن المدينة هي العامل المساعد لمد بذور التغيير بكافة أشكاله العنيفة والهادئة على حد سواء" (إبراهيم التوهامي وآخرون: 2004، ص.41-42).

3- الاطار النظري للعنف الحضري:

1-3- النظرية الايكولوجية الكلاسيكية والعنف الحضري.

تعرف هذه النظرية في علم الاجتماع الحضري أحيانا بالنظرية الايكولوجية أو نظرية المدرسة الأمريكية أو نظرية مدرسة شيكاغو كعبارات مترادفة المعنى، وفي نفس الوقت تثير أي من العبارات الثلاثة في أذهان المشتغلين بعلم الاجتماع الحضري الإشارة إلى أعمال عدد من رواد علم الاجتماع في أمريكا وفي مقدمتهم روبرت بارك، وهذه الأعمال وضعت منذ البداية الإطار النظري العام الذي انطلقت من خلاله العديد من الدراسات اللاحقة التي كانت لها مكانتها في تاريخ العلوم الإنسانية والاجتماعية.

ومن هذا المنطلق اشتق مصطلح الايكولوجية من العلوم الطبيعية، ويشير إلى دراسة تكيف النباتات والحيوانات العضوية مع البيئة (أنتوني جيدنز: 2005، ص.599). وفهمت الايكولوجيا على أنها علاقة الكائن الحي ببيئته، ويدرك الايكولوجيين المدينة – والمجتمع الحضري بصفة عامة- على أنها تنظيمات اجتماعية تحتل مواقع جغرافية، ويفترضون إلى أن أفضل فهم للحياة الحضرية يكون عن طريق كونها فسيفساء من المناطق حيث تؤدي العوامل الطبيعية إلى توزيع منتظم، وأيضا متغير باستمرار للسكان والتسهيلات والأنشطة (وجدي شفيق عبد اللطيف: 2005، ص.70). ومن ثم قام عدد من علماء الاجتماع المهتمين بايكولوجية المدن بوضع عدد من النظريات عن التوزيع المساحي والجغرافي للناس والخدمات في المدن (عبد

المنعم شوقي: 1981، ص.137). فهم يرون بأن هذه الفسيفساء من المناطق وهذا التوزيع المتغير بانتظام، من شأنه أن يسهم في بلورة وتشكيل أنماط عنفية، تماشياً مع التغيرات التي تحدث، وهو ما لوحظ في الكثير من التجمعات الحضرية الجديدة في مختلف مدننا من محاولات للسيطرة على المجال الحضري بهدف استغلاله وما نجم عنه من مشادات عنفية، وصلت حد الإجرام.

روبرت بارك: التنظيم الأخلاقي والفيزيقي للمدينة ودوره في تشكيل وإبراز ظاهرة العنف الحضري. صاغ بارك ما أصبح يعرف باسم النظرية الايكولوجية، واستند في تحليله للظواهر إلى أطروحتين شكلتا منحاه البحثي، ترتبط الأولى بالتأثير الذي تمارسه ظروف العيش في مجتمع المدينة على سلوك ساكنيها، أما الثانية فتربط بنمو المدينة وامتدادها وتباينها اجتماعياً وفيزيقياً. وهذا هو السبب الذي دفع بارك إلى القول بأن للمدينة تنظيماً أخلاقياً وأخر فيزيقياً. ومع مرور الوقت طور بارك مدخله الايكولوجي ليمحور حول المجتمع الحضري المحلي ببعديه الثقافي والحيوي (إسماعيل قيرة: 2004، ص.11). ومن ثم فبارك يعتقد أن ظروف العيش في المدينة تسهم في تشكيل تنظيم أخلاقي وأخر فيزيقي من شأنهما أن يؤثر في سلوك المواطنين، ويدفع بالبعض منهم إلى ممارسة العنف في الوسط الحضري. ويذهب إلى تبرير ذلك من خلال إبرازه لبعض التصورات الهامة عن المدينة ومن أهمها:- (فؤاد بن غضبان: 2014، ص.36):

أ. أن المدينة الحديثة بناء تجارياً، يدين في وجوده إلى السوق الذي تتوسع المدينة حوله، وذهب بارك مثل علماء الاجتماع الأوروبيين إلى تميز حياة المدينة الحديثة بالتقسيم المعقد للعمل الذي يندفع بسرعة نتيجة للمنافسة الصناعية، وذهب بارك إلى أن هيمنة السوق ستؤدي إلى الانهيار المستمر للطرق التقليدية في الحياة، وسيتحول الاهتمام السابق بالعلاقات الأسرية والروابط المحلية ... والطبقة والمكانة حتماً إلى نظام مثل المجتمع الذي يعتمد على التعاون والمصالح المهنية (وجدي شفيق عبد اللطيف: 2005، ص.71). وأن المدينة الحديثة تتسم بالبناءات الرسمية عن طريق وجود ما يسمى بسيطرة البيروقراطيات على نطاق واسع، وأمام هذه النتيجة التي توصل إليها، وهي أن المدينة تتمحور حول التنافس المحموم في السوق، وتحول المراكز والأدوار وسيطرة العلاقات المصلحية، وهو ما من شأنه أن يعزز السلوكيات العنفية المختلفة بين أفراد المجتمع، ولذلك يرى أن الحل هو في لعب "الأجهزة البيروقراطية مثل البوليس والمحاكم والمؤسسات التطوعية الخيرية ومؤسسات الرفاهية الاجتماعية دوراً متزايداً في الحياة الحضرية" (فؤاد بن غضبان: 2014، ص.36).

ب. وبالإضافة إلى ذلك فإنه في معرض تأكيده على البعد النفسي للحياة الحضرية، فقد أوضح أن الحياة داخل المدينة تجعلها أقل عاطفية وأكثر عقلانية عن الحياة في مكان آخر، ومن ثم يؤكد على أن اختفاء الروابط العاطفية التقليدية في المدينة قد أدى إلى ظهور روابط اجتماعية جديدة تقوم أساساً على المصلحة (سعيد ناصف: 2006، ص.76). لذلك قرر بأن الحضرية تنتج طرقاً جديدة للحياة ونماذج جديدة من الأفراد، وأنه على علماء الاجتماع أن يكتشفوا هذه الأشكال الجديدة من مدتهم (سعيد ناصف: 2006، ص.73). واعتقد أن من بين هذه الأشكال الجديدة ظاهرة العنف الحضري، وإلا فماذا ينتج عن حياة العقلانية الشديدة والأقل عاطفية والمصلحية؟ إلا نفور الناس عن بعضهم البعض، وتشكل السلوكيات العدوانية.

ج. إلى جانب ذلك كان بارك مهتماً بالبنية المتطورة للمدينة نفسها، والشكل المادي للمدينة وطريقة استعمالات الأراضي المختلفة، والأحياء أصبحت موجهة نحو بعضها البعض، وهو ما يعرف باسم البيئة الحضرية (William G, 2010, p.81).

وهو هنا يطرح أسباب جديدة من شأنها أن تسهم في بلورة أنماط عنفية أخرى ناتجة في الأساس من طريقة استخدامات الأراضي المختلفة، والصراعات الناتجة حولها بدأ من طريقة الاستحواذ على هذه الأراضي إلى أنماط استخدامها ثانياً. د. إفتان بارك بالأنماط المختلفة للتكيف البشري في المدينة، أي أساليب حياة المتحضرين (William G, 2010, p.81). أدى به هذا إلى التركيز على دراسة الثقافة الحضرية، وهو بهذا يشير إلى أن أفراد المجتمع يستجيبون للتحويلات المجتمعية في مجتمع المدينة بطرق وأساليب مختلفة وهو ما من شأنه أن يسهم في إفراز ظاهرة العنف الحضري. ويخلص بارك إلى أنه من خلال المدينة بوصفها مكاناً جغرافياً، وكذلك باعتبارها نطاقاً أخلاقياً، فإنه يمكن من خلال التحليل الوظيفي لها إبراز إمكانات الحياة الثقافية والأخلاقية فيها (فؤاد بن غضبان: 2014، ص.37). فيكولوجية المدينة لا تعني الاقتصار على تتبع التقسيم المكاني الداخلي للمدينة، أو وضع خريطة لمختلف الأشياء التي توجد بها، وإنما ما أراده في الحقيقة اكتشاف تأثير هذه الظواهر الفيزيائية في خبرة سكان المدينة الإنسانية والعاطفية ودورها في تشكيلها. فالظروف النفسية والأخلاقية للحياة في المدينة سوف تعكس نفسها بصورة طبيعية في كيفية استغلال المكان وفي أنماط الحركة الإنسانية والانتقال... الخ. وافترض بارك بمعنى آخر أن الثقافة تتجلى في الأشياء المصنوعة وأن المدينة لها طابع عضوي (أحمد عاطف غيث: 1979، ص.36). وهو ما من شأنه أن ينتج أو يعزز لنا ظاهرة العنف الحضري. ومن ثم فإن ما يؤخذ على بارك هو اهتمامه بالبنية المتطورة للمدينة، وشكلها المادي وطريقة استعمالات الأراضي المختلفة. وذلك من خلال النظر إلى المدينة بوصفها مكاناً جغرافياً، وكذلك باعتبارها نطاقاً أخلاقياً، وهو ما يعني أن تركيزه الأساس كان على تأثير الظواهر الفيزيائية في خبرة سكان المدينة الإنسانية والعاطفية ودورها في تشكيلها. وهو مؤشر على اغفاله لبقية الأبعاد الأخرى.

ورغم كل هذا، فإن ما يعاب على هذه النظرية "الايكولوجية" بصفة عامة أن نموذجها اعتبر بعيداً عن مقارنة الظاهرة الحضرية والسلوك الاجتماعي للفرد، حيث يعتقد بأنها بدأت تحليلها من طريق خاطئ وذلك عندما وجهت كل اهتمامها إلى الجوانب الجيوفيزيائية للمدينة دون أن تهتم بنوعية حياتها الاجتماعية. إلى جانب تركيزها على مسألة العلاقة بين الثقافة والمجال والتي تعتبر مسألة إيديولوجية...

2-3- النظرية الايكولوجية السوسيو - ثقافية والعنف الحضري.

تعرف الثقافة حسب النظرية السوسيوثقافية على أنها السلوك المتعلم الذي قد يربط أو لا يرتبط بالاستخدام الاقتصادي العقلاني للأرض والموارد النادرة، وتضم الثقافة القيم والمعتقدات والمعايير التي تحكم الفكر والتفاعل (حميد خروف وآخرون: 1999، ص.47). ومن ثم جاءت هذه النظرية للتأكيد على دور الثقافة في تحديد السلوك البشري (إسماعيل قيرة: 2004، ص.75). وتنطلق من كون الأفراد في تفاعلهم مع الآخرين ومع بيئتهم يخلقون ويعدلون الثقافة التي تضم القيم، والمعتقدات، والمعايير التي تحكم الفكر والتفاعل (إسماعيل قيرة: 2004، ص.75). ومن ثم فهي تستند في تفسيرها للواقع الحضري بكل أبعاده وتعرجاته وتضاريسه إلى المتغيرات الثقافية (إسماعيل قيرة: 2004، ص.76). بما في ذلك ظاهرة العنف في الوسط الحضري، فالأفراد في تفاعلاتهم اليومية، وبالنظر إلى ما يقاسونه، من ظلم أو غبن، أو تهمة، أو قسوة، أو حتى رغبة في تحسين مراكزهم الاجتماعية، فإنهم يسعون إلى خلق ثقافة خاصة بهم، تدعم وتبرر سلوكياتهم، وسبل الحصول على مبتغاهم. ولذلك نجد أصحاب هذه النظرية من جهتهم يحاولون التأكيد على أهمية العوامل الثقافي (المشاعر والرموز) في تحديد وتوجيه السلوك، ومن ضمنها السلوك العنفي، ومن أهم الدراسات التي اهتمت بالعوامل الثقافية، "تجد دراسة فيري (Firey)

عن استخدام الأرض. وبوسطن (Boston) وجوناسن (Jonassan) في دراسة المجتمع المحلي النزويجي في نيويورك، ولقد استندت هذه الدراسات إلى المتغيرات الثقافية في تفسير الواقع الحضري." (جيرالد برينز: 1989، ص.19).

كما نجد الدراسة التي قام بها كل من كبير (L.Kuper) وواط (H.Watt) وورديفز (R.Davies) حول العزل والتنميط الإيكولوجي بمدينة دوربان (Durban) في جنوب إفريقيا. حيث أوضحوا أن التميز العنصري بجنوب إفريقيا (في الإطار الزمني للدراسة) يقوم بعزل واضح لمساكن الزوج عن المساكن البيض، إضافة إلى أن المناطق السكنية بالنسبة للسود هي في الغالب مناطق هامشية وبعيدة عن المحاور الأساسية للنقل والمواصلات، وفق ذلك فمناطق السود معرضة باستمرار إلى عمليتي الغزو والاحتلال (فادية عمر الجولاني: 1984، ص.65-69). ولقد توصلت هذه الدراسة في الأخير إلى إبراز أهمية القيم الثقافية السائدة في تحديد أنماط استخدام الأرض، ومن ثم الأنماط العنصرية المصاحبة لذلك. وهذه الدراسات في مجملها وخاصة الأخيرة منها، تؤكد على دور العوامل الثقافية في خلق وتكريس، وتعزيز أنماط وصور عنصرية جمعية في الأوساط الحضرية الحديثة.

ومع ذلك فإن ما يعاب على هذه النظرية هو إستنادها في تفسيرها للواقع الحضري بكل أبعاده وتعرجاته وتضاريسه إلى المتغيرات الثقافية. من منطلق كون الأفراد في تفاعلهم مع الآخرين ومع بيئتهم يخلقون ويعدلون الثقافة التي تضم القيم، المعتقدات، والمعايير التي تحكم الفكر والتفاعل. فيما أغفلت بقية الأبعاد الأخرى الموجه للسلوك.

3-3- نظرية الثقافة الحضرية للويس ويرث والعنف الحضري.

لويس ويرث (1897-1952) ينطلق من كون المدينة متغيراً أساسياً لتفسير بعض الأنماط الحضرية والتي جعلت منها وعاءاً ثقافياً بإمكانها عرض الثقافة الحضرية باعتبارها طريقة للحياة، فالحياة الحضرية على ذلك عملية تسعى في النهاية إلى إحداث التنظيم المكاني لعناصر البناء الاجتماعي السائد بمنطقة جغرافية محددة (فؤاد بن غضبان: 2014، ص.49). وفي هذا الإطار تؤكد أغلب الدراسات الحضرية على عدم وجود طريقة واحدة للعيش في نطاق المدينة، فالطرق التي ينظم بها الأفراد حياتهم تختلف حسب الموروث الثقافي وموقع الفرد في إطار نظام المجتمع المحلي (إسماعيل قيرة: 2004، ص.08). وعلى هذا الأساس من الممكن أن تختلف وتتعارض هذه الأنماط الحياتية، فما يتقبله البعض أو يعتبره مقبولاً قد لا يتقبله البعض الآخر وقد يعتبره مسيئاً له.

وعلى هذا فالبناء الاجتماعي يتكون من مجموعة متصلة ومنمطة من العلاقات الاجتماعية التي تبرز من خلالها أدوار الأفراد ووظائفهم، ومن ثم للبناء الاجتماعي الحضري أهمية حيوية في تشكيل الشكل الحضري السائد فهو يتسم بخصائص معينة لعل أهمها سيادة العلاقات غير الشخصية التي تظهر في شكل التفاعلات والعلاقات المستمرة بين الأفراد. كما أن درجة التجانس الثقافي بالمركز الحضري تؤثر على كيفية ممارسة الأفراد لأدوارهم، وعلى نوعية العلاقة الاجتماعية السائدة بين ساكني النمط الحضري والوافدين إليها من المناطق الريفية، ومن الطبيعي أن ترتبط ظاهرة تركيز السكان بالمركز الحضري وشكل الاتساع والامتداد فيه بطبيعة التركيب الطبقي بالنمط الحضري بحيث يؤثر ذلك على تكوين الطبقة وتحديد علاقتها بغيرها من الطبقات (فؤاد بن غضبان: 2014، ص.49). غير أن البناء الاجتماعي في المجتمع الحضري لا ينشأ من فراغ ولا يتحرك إلى غير هدف، وإنما يتحدد إطاره بالهيكل الثقافي للمجتمع الكلي أولاً والحضري ثانياً (فؤاد بن غضبان: 2014، ص.50).

ولذلك يطرح لويس ويرث في مقالته الموسومة بـ الحضرية كطريقة في الحياة، التساؤل عن الأنماط والعمليات التي تتضمنها عملية تحول طريقة الحياة السابقة على التصنيع والتحضر إلى نظام صناعي حضري. فالمدينة عند ويرث باعتبارها موقع دائم يتميز بكبر الحجم وبكثافة عالية نسبياً وبدرجة ملحوظة من اللاتجانس بين سكانه، تطرح التساؤل حول الصور والأشكال

الجديدة للحياة الاجتماعية، والتي قد ينجم عنها الخصائص الأساسية المميزة للمجتمع الحضري (فؤاد بن غضبان: 2014، ص.50). وهي في اعتقادي من أهم الأسباب التي يمكن أن تسهم في بلورة وتشكل صور العنف الحضري. أ. الحجم: ذهب ويرث إلى أن حجم السكان بمفرده سيخلق تنوعا كبيرا في الخصائص الثقافية والمهنية في المدينة، ويرجع ذلك جزئيا إلى وعيه بهجرة الجماعات المختلفة إلى المدينة، وهذا العدد الكبير من السكان سيدعم نمو التخصص، وسيظهر بناء مهني يعتمد على التخصصات المختلفة، وهذا التخصص سينظم العلاقات الإنسانية على أساس المصلحة الخاصة (وجدي شفيق عبد اللطيف: 2005، ص.76). وهو ما سيطرح تساؤلات عن الطريقة التي تواجه بها هذه الجماعات المختلفة وحتى الأفراد أنفسهم هذه التحولات وفي اعتقادها فإن السلوكيات العنيفة المختلفة ستطرح نفسها في هذا الإطار بشدة.

ويشير ويرث مباشرة إلى ملاحظات فيبر وزيمل إلى أن العلاقات الاجتماعية النموذجية يجب أن تكون أكثر ضحالة في المدينة بسبب الأعداد الهائلة المعنية. فالعلاقات الإنسانية مجزأة للغاية أو خاصة، وهكذا تتميز المدينة عن طريق العلاقات الثانوية بدلا من الابتدائية، ولا يزال الكثير من هذه العلاقات وجها لوجه، لكنها سطحية وغير شخصية، وعابرة وفقا لويرث، وعلينا أن ننظر إليهم كمجرد وسيلة لتحقيق الغايات الخاصة بنا، وليس لقيمة العلاقة نفسها، فويرث يرى أن الأفراد في الحياة الحضرية كسبوا بعض العناصر من التحرر من سيطرة المجموعة الحميمة، لكنهم فقدوا أيضا الاطمئنان الذي يأتي من الحياة في مجتمع أكثر تكاملا عاطفيا. فجنبا إلى جنب مع الحرية يأتي الفراغ الاجتماعي والشعور بالشذوذ. على الرغم من أن تقسيم العمل ونمو التخصص (حتى بين المدن نفسها) يؤدي إلى التكافل الاجتماعي من خلال الاعتماد المتبادل، ودوافع السوق والروابط المالية التي تجمع، بحيث تؤدي إلى العلاقات ذات الطابع التنافسي في الغالب. وأخيرا، مع أعداد كبيرة في المدينة، فالفرد له أهمية من الناحية السياسية (William G, 2010, pp.83.84). ومن ثم فالنتيجة المنتظرة في هذه الحالة هي الكثير والكثير من الأنماط العنيفة في مجتمع المدينة هذا.

ب. كثافة السكان: عالج ويرث متغير الثقافة كخاصية أساسية ومميزة للمجتمع الحضري، يترتب عليها خصائص أخرى، لقد تصور ويرث أن الكثافة تؤكد الآثار الاجتماعية والنفسية الناجمة عن الحجم فهي تزيد من درجات التقارب الفيزيقي بين الأفراد في مقابل التباعد الاجتماعي، كما أنها أخيرا تزيد العزل المكاني بمعنى انفصال الجماعات السكنية عن بعضها البعض في شكل مجاورات أو أحياء متجانسة نسبياً (فؤاد بن غضبان: 2014، ص.51). وإحلال الضبط الرسمي محل الروابط غير الرسمية، واعتقد هنا أن ويرث يشير إلى أحد أهم أسباب معالجة الظواهر الاجتماعية الحضرية المرضية وفي مقدمتها العنف الحضري بشتى أنماطه من خلال التعويل على إحلال الضبط الرسمي في مجتمع المدينة.

فالكثافة السكانية تؤثر أيضا على المستوى النفسي- الاجتماعي، فنتيجة لتعرض ساكن المدينة للتناقضات الواضحة... الروعة والقذارة... الغنى والفقر فإنه يشكل تصورا عقليا للمدينة ومناطقها وسكانها، وتساعد هذه الرؤية - امتدادا لزيمل- على فهم نزعة الحضري إلى التفكير النمطي والقاطع والاعتماد على فهم المدينة من خلال الرموز والأشكال المرئية (كالملابس والسيارات وأسماء الشوارع المتغيرة)، وتتضح دلالة ذلك حيث تشجع كثافة السكان على فقدان الحساسية للكثير من الجوانب الشخصية للآخرين، وتفسر السبب في كون سكان المدينة غالبا ما يبدوون لا مبالين وفاقدون العواطف... ومعنى هذا أن التقارب المكاني يؤدي إلى زيادة المسافة الاجتماعية بين سكان الحضر، ومن ثم يتسم الحضريون نتيجة للتقارب المكاني بالانغلاق عن حولهم أو يتعدون عنهم (وجدي شفيق عبد اللطيف: 2005، ص.78). ومن ثم فهذه العقلية تشكل في نظره واحدة من الأسباب الرئيسية لتشكيل العنف الحضري في مجتمع المدينة.

ج . اللاتجانس: أما متغير اللاتجانس فقد كان في ذاته نتيجة ترتبت على متغيري الحجم والكثافة فهو استجابة مباشرة لضرورة اقتصادية (تقسيم العمل) وأخرى اجتماعية تمثل الاختلافات والفروق المتوقع وجودها في جماعات كثيفة من السكان، ولكن اللاتجانس (التغاير) يؤدي بدوره إلى سلسلة من المصاحبات الاجتماعية أهمها تطوير نسق أكثر تعقيداً للتدرج الطبقي وزيادة معدلات الحراك بأشكاله الفيزيائية والاجتماعية وتطوير شخصية كوزموبوليتية (عالمية) السيد عبد العاطي السيد: (1984، ص.83-85).

وفي هذا الإطار فإن أهمية عدم التجانس في المناطق الحضرية التي تهم ويرث تظهر من خلال الحشد البشري في المجتمع، بدلا من إثراء حياة الفرد اجتماعيا أو ثقافيا، فالعضوية المتعددة تصبح عابرة وغير مهمة نسبيا، وليس تثبيت الأفراد في حياة اجتماعية مستقرة، وهذه العضوية المتعددة والمتغيرة سحبت منهم في اتجاهات متضاربة ومتغيرة. في نهاية المطاف، فإن صورة الحالة المدنية عند ويرث هي نفور الأفراد لوحدها، وعلى غير هدى في بحر من المعايير والقيم المتنافسة. ومن ثم فزيادة الحجم، والكثافة، وعدم التجانس ترك الناس مجتئين اجتماعيا وعاجزة سياسيا (William G, 2010, p.85). وهذا الاجتثاث والعجز من شأنه أن يتبلور وينتج في شكل أنماط عنفية مختلفة.

ومع ذلك يؤكد ويرث على تفاعل هذه الأبعاد الثلاثة - حجم وكثافة وتباين السكان - مع بعضها لتؤدي إلى طريقة فريدة في الحياة أطلق عليها الحضرية، وهو متفانلا بشدة بشأن الحضرية كطريقة في الحياة، فقد نظر إلى المدينة باعتبارها حمض يذيب مع الوقت القيم التقليدية، ويقوض تكوين مؤسسات وعلاقات ذات معنى. ورأى مثل بارك إمكانيات الحريات الكبيرة في المدينة، ولكنه قلقا أيضا من أن تتساوى هذه الجوانب الايجابية حتما مع التفكك الذي لاحظته في مدينة شيكاغو المضطربة، ورأى إمكانية خلق البيئات الحضرية الإنسانية فقط من خلال المحاولات الجادة للسيطرة على المدينة (وجدي شفيق عبد اللطيف: 2005، ص.80).

ومع هذا يعتقد وأن ويرث كان مبالغا إلى حد كبير في تقدير العلمانية والتفكك كسمات مميزة للمجتمع الحضري حتى في الولايات المتحدة الأمريكية. إلى جانب إغفاله العلاقات المتبادلة بين المدينة كنسق فرعي والنسق الاجتماعي الثقافي الشامل والذي تعد جزا منه.

4-3- النظرية النفسية الاجتماعية والعنف الحضري:

تشير هذه النظرية في علم الاجتماع الحضري إلى أعمال رواد مدرسة فكرية متميزة ظلت تسيطر على علم الاجتماع الألماني لفترة طويلة حتى وقتنا هذا، كما تمثلها أعمال ثلاثة من روادها الأوائل وهم ماكس فيبر ودراسة الحياة الحضرية وجورج زيمل والأسس النفسية للحياة الحضرية واوزفالد شبنجلر عن ثقافة المدينة. ففير، زيمل، وشبنجلر، طرحوا فكرة محورية في تراث الدراسات الحضرية، وهي أن أشكال التنظيم الحضري تنتج مختلف أساليب الحياة (إسماعيل قيرة: 2004، ص.08). واحدة من هذه الأساليب في اعتقادي هي العنف الحضري، وفيما يلي نشير إلى أهم إسهامات كل منهم على النحو التالي:

1-4-3- الحياة الحضرية وتشكل العنف الحضري عند ماكس فيبر:

هدف السوسولوجيا عند ماكس فيبر (1864-1920) هو فهم الفعل الاجتماعي وتأويله، مع تفسير هذا الفعل المرصود سببيا بربطه بالآثار والنتائج (Catherine Colliot, 2006, p.50). ومن ثم، يتخذ هذا الفعل - أثناء التواصل والتفاعل - معنى ذاتيا لدى الآخر أو الآخرين، فالفعل المجتمعي، هو السلوك الذي يسلك تجاه الآخرين، من خلال ما يرى، في سلوك الآخرين، من دلالة ومعنى وهدف (عبد الله إبراهيم: 2010، ص.96). ومن ثم فالفهم والدلالة والمعنى، الذي يعطى للسلوك، يختلف باختلاف الظروف والمواقف، ويختلف باختلاف الأشخاص ومكاناتهم ومستوياتهم، وعلى ذلك فلا غرابة في أن ينتج عن هذا

السلوك أنماط عنفية مختلفة. ولهذا كان فيبر "مهتما بتطوير نموذج عام للمدينة. نموذج شامل وموجز" (William G. Flanagan, 2010, p.76). فيما يمكن إن نطلق عليه الآن تعريفاً لحياة المدينة، أطلق عليه فيبر مصطلح النموذج المثالي للمدينة، ويعني به حالة معينة للحياة الحضرية التي تفي بالمتطلبات الاجتماعية المتوارثة في تنظيم الاستيطان البشري (غريب محمد سيد احمد: 2006، ص.23). ومن ثم فالنماذج المثالية، ما هي إلا تصورات عقلية خالصة، يطرحها الباحث، لتكون بمثابة مرشد له، وللباحثين الاجتماعيين عموماً، الذين يسعون لفهم الواقع، ومعرفة العلاقات السببية، التي تؤدي إلى حدوث الظواهر وتكرارها. وحدد فيبر "أربعة أنماط للفعل الاجتماعي وفقاً لمساره واتجاهاته على النحو التالي: الفعل العقلي، الفعل القيمي، الفعل العاطفي، الفعل التقليدي" (محمد سعيد عبد المجيد ووجدي شفيق عبد اللطيف: 2005، ص.140).

وعبر هذا النموذج المثالي الذي من شأنه أن يحدد العناصر الأساسية التي تشكل المدينة، وصل إلى الصيغة التالية: يشكل المجتمع الحضري الكامل تسوية يجب أن تعرض الغلبة النسبية لعلاقات التبادل التجاري - مع ما يمكن أن ينتج عن التسويات التجارية في الغالب في ظل نظام السوق من عداوات ومشاحنات، وأساليب عنفية مبتكرة- ومع التسوية ككل عرض الميزات التالية: التحصينات، السوق، محكمة من تلقاء نفسها، وعلى الأقل القانون مستقل جزئياً؛ والأخذ بأحد أشكال تكوين الجمعيات؛ ثم الحكم الذاتي الجزئي على الأقل، والاستقلال السياسي الجزئي على الأقل، وأيضاً إدارة من قبل سلطات ناجمة عن المشاركة في الانتخابات (William G. Flanagan, 2010, p.77). وهي في اعتقادي أحد أشكال البدائل التنظيمية التي يقترحها فيبر لمعالجة ما يمكن أن يحدث نتيجة للتسويات التي يغلب عليها الطابع التجاري، فاقتراحه وجود سلطات ناجمة عن المشاركة في الانتخابات، في إشارة إلى الطريقة التي تنظم وتدارجها التسويات المختلفة، والمحكمة هي للفصل في النزاعات المختلفة الناتجة عن هذه التسويات في حد ذاتها. واعتقد بعد كل هذا الطرح، انه لا يمكن أن يرضى الجميع بمثل هذه التسويات والطرق المختلفة المؤدية إليها ومن ثم فإن هذا يجزنا إلى الحديث عن الأنماط العنفية المختلفة التي يمكن أن تنشأ نتيجة لذلك.

وكل هذا في ظل كون "المدينة هي الشكل الاجتماعي الذي يسمح بدرجة عالية من الفردية والتميز في كل مظهر واقعي من المظاهر الموجودة في العالم. ولتحديد معنى المدينة لا يمكن الاقتصار على وصف نمط حياة منفرد، ولكن باعتبار أنها احد البناءات الاجتماعية التي تعمل على تشجيع الفردية والتجديد، ومن ثم تصبح أداة للتغيير التاريخي (غريب محمد سيد احمد: 2006، ص.23). ولهذا نجد فيبر يعتقد مثل دوركايم إمكانية أن تكون المدن عوامل ايجابية وقوى تحريرية في الحياة الإنسانية... (وجدي شفيق عبد اللطيف: 2005، ص.60). ولكنه في نفس الوقت حاول جاهداً أن يوضح الظروف التي تجعل دور المدينة ايجابياً أو ابتكارياً في الحياة العامة للإنسان (فؤاد بن غضبان: 2014، ص.43).

ومع هذا فإن ما يؤخذ عليه فيبر هو اهتمامه بالمدينة في الماضي أكثر من اهتمامه بها في الحاضر، إلى جانب سقوطه في النزعة المركزية عندما اعتبر أن مفهوم المدينة لا توجد إلا في أوروبا الغربية.

3-4-2- الحياة العقلية للمتروبوليس عند جورج زيمل وتشكل العنف الحضري:

ينطلق زيمل من توجهه للأنتظار إلى أهمية المدينة كوسيلة للتغيير الاجتماعي والنفسي، وفي هذا الصدد يعتقد أن الحياة الحضرية تسبب الانحراف، والسلوك الإجرامي، لكنها تعطي الأفراد فرصة تطوير قدراتهم والتمتع بالحرية، غير أنه يعود فيؤكد على صعوبات استيعاب وفهم مكونات وعناصر المدينة الكبيرة، زيادة الضغوط العصبية، تعرض الفرد لتأثيرات الحياة الحضرية... الخ (إسماعيل قيرة: 2004، ص.08).

ومن هنا فقد تضمنت نظرية جورج زيمل (1858-1918) فكرتين أساسيتين هما الأولى وتدور حول مميزات المدينة والثانية ترتبط باستجابات ساكنيها (سعيد ناصف، 2006، ص.65). حيث ركز جورج زيمل على تحديد خصائص الحياة الحضرية واستجابات ساكنيها، وذلك في ضوء جملة من المفاهيم المتعلقة بالأنماط السلوكية، التكيف الحضري، العلاقات غير الشخصية، انقسام الحياة الاجتماعية إلى مجالات منفصلة (الأسرة، العمل، الأصدقاء،... الخ)، التنظيم العقلاني للوقت في المدينة، التنظيم العقلاني للنشاط (تقسيم العمل)، اللامبالاة، الانعزال والتحفظ الاجتماعي، وإذا كانت هذه المفاهيم تشكل في جوهرها خصائص الحياة الحضرية واستجابات ساكنيها لضغوط هذه الحياة الصعبة والمعقدة المستندة إلى العقلانية والواقعية (إسماعيل قيرة: 2004، ص: 05). فالمجتمع ينشأ من وجهة نظر زيمل من خلال التفاعل النفسي بين الكائنات الإنسانية كأفراد، وكأعضاء في جماعات. (عبد الهادي محمد والي: 2003، ص.271). وعلى هذا الأساس تركز نظرية زيمل على التمييز بين طبيعة العلاقات الاجتماعية من ناحية الشكل أو الصورة، وما تنطوي عليه من مضمون اجتماعي، لان العلاقات التي تنشأ بين الأفراد في المجتمع كالصراع، والتنافس، والخضوع وتقسيم العمل، والتقسيم الطبقي وغيرها موجودة في مختلف ميادين الحياة الاجتماعية (عبد الهادي محمد والي: 2003، ص.271). ولهذا يرى زيمل أن أهم ما يميز المدينة الحديثة هو ما أطلق عليه كتكيف الإثارة النفسية والعصبية التي ينبغي على ساكن المدينة أن يتغلب عليها، وأن المدينة تهاجم الفرد باستمرار بأشكال مختلفة، وأنه لكي يسيطر الفرد على الموقف، فإنه يتعلم أو يكتسب القدرة على التمييز الدقيق بحيث يستطيع أن يتمشى مع ما هو هام، ويتعد عن كل ما هو غير ذلك، ومن خلال هذه العملية يصبح سكان الحضر، وبمرور الوقت أكثر تفكيراً وعقلانية وواقعية من سكان الريف (سعيد ناصف، 2006، ص.66). ولذلك ذهب زيمل إلى أن الشخصية ستتعلم تكيف نفسها مع المدينة (وجدي شفيق عبد اللطيف: 2005، ص.54). ففي ظل المواقف المختلفة التي يتعرض لها الفرد في حياته المجتمعية، فإنه يمكن أن يطور أساليب وأنماط سلوكية عنيفة، إلى جانب الأنماط السلوكية السوية، ليتماشى مع السلوكيات المألوفة والمعتادة في مجتمعه.

فهو يرى أنه على عكس النظم الريفية أين يكون "رتم الحياة والتدفقات التخيلية الشعورية أكثر بطناً واعتياداً وحدوثاً، فإن المدينة تمطر الفرد بصورة مستمرة بالكثير من الرؤى والأصوات والروائح، ومن أجل مقاومتها يجب أن يتعلم الفرد كيفية التمييز بينهما بدقة" (وجدي شفيق عبد اللطيف: 2005، ص.54). وفي ظل هذا تساءل زيمل "عن كيفية السلوك الحضري، إزاء هذه المؤثرات الشاملة" (وجدي شفيق عبد اللطيف: 2005، ص.55). ونتيجة لذلك فقد ذهب إلى تكيف الإنسان الحضري مع "حياة المدينة عن طريق تطوير ما أسماه الاتجاه "المتعرج" - البديل الاجتماعي - وهو الانفصال، فالحال في المدينة هو أننا نستجيب بعقولنا وليس بقلوبنا ونتعلم أن نأخذ الاتجاه الواقعي نحو العالم حولنا، فنحن ببساطة لا نهتم ولا نريد أن نندمج" (وجدي شفيق عبد اللطيف: 2005، ص.56). ويرى زيمل "أن الإفراط في الحافز النفسي يقود الناس إلى محاولة الدفاع عن أنفسهم بطرق سلبية رد الفعل العاطفي بالنسبة لمن يحيطون بهم في المدينة، وكدفاع ضد تعقيد الحياة الحضرية، يحاول الناس أن يعيشوا في علاقة غير عاطفية وعقلية، ووظيفية مع الآخرين، وهذا الدفاع يجعل الحياة منفصلة، وإذا حاول الناس أن يعيشوا حياتهم في الأسرة وفي العمل وفي الصداقة، فإنهم يتحطمون عن طريق التعقيدات الكامنة في كل من هذه الوقائع التي يعيشونها في الوسط الحضري" (غريب محمد سيد احمد: 2006، ص.25). ولاحظ سيمل أن سكان المدن "ليس لديها خيار سوى أن تصبح حساسة للأحداث والناس من حولهم، ويقترح أنه يجب على سكان المدن الحقيقية تطوير قدرات خاصة لتجنب التورط العاطفي في كل ما يحدث من حولهم، وعلمهم أن يتفاعلوا برؤوسهم بدلاً من قلوبهم، مع الميل نحو الاحتياط الناجم

عن شدة الخبرة، وتعزيز الأساس الاقتصادي للحياة في المدينة. حيث لفت إلى أن الناس تدخل في علاقات تتسم بالتوتر والعمليات الحسابية." (William G. Flanagan, 2010, Pp.78.79)

والملاحظ في هذا الإطار أن تركيز زيمل على التفاعل النفسي بين الكائنات الإنسانية كأفراد، وكأعضاء في جماعات. يعني اغفاله لباقي الأبعاد أو على الأقل اعطاعها تأثيراً أقل، بالإضافة إلى نظريته لسكان المدينة على أنه أكثر عقلانية وواقعية، وهو ما لا يفسر بدقة إنتشار العنف الحضري.

3-4-3- الثقافة الحضرية لأوزفالد شبنجلر وتشكل العنف الحضري:

يمثل أوزفالد شبنجلر أيضاً النظرية النفسية الاجتماعية، وهو يعتقد أن المدن الكبيرة في عصره تعمل على إفساد نشاط وحيوية وطاقة من يقيم بها حيث تتميز بالطابع الروتيني وتصبح الحياة فيها قاسية، وكان يتوقع أن الثقافات المتروبوليتانية سوف تواجه مصير وقدر روما، بحيث تتدهور المدن (غريب محمد سيد احمد: 2006، ص.28). فبمرور الوقت تنفصل المدن عن الطبيعة وترتكز أكثر على الثروة، القوة، والمنطق، وكنتيجة لذلك تفقد المدينة طبيعتها القائمة على الروح وتمهارة، وفي الأخير تموت... (إسماعيل قيرة: 2004، ص.07). ومن هذا المنطلق ركز شبنجلر على الصور النفسية الاجتماعية للحياة الحضرية من خلال النقاط التالية: الثقافة الحضرية، تميز المدينة بالحرية والإنفصال من القيود والروابط العقائدية، ارتباط الحياة الحضرية بالمال والفكر والذكاء، والتأكيد على العقلية الحضرية (السيد عبد العاطي السيد: 1984، ص.422-427). ولهذا يشير إلى أن الثقافة الغربية قد أخذت في التدهور والتفسيخ منذ بدايات القرن العشرين، كما أن دورة الحياة تنطبق على إفساد سكانها عن طريق اختفاء الطابع النظامي على عمليات العلاقات البشرية المتبادلة، وعن طريق جعل هذه العمليات روتينية وغير عاطفية، فشبنجلر يقر بأن كل ثقافة غربية أو غير غربية لها روح شعبية تظهر في المراحل الأولى من تطورها، وهذه الروح تمنح الثقافة هويتها وحينما تنمو المدن تدريجياً فإن ذلك يؤدي إلى تغيير هذا الطابع الثقافي نتيجة تشجيع الفردية والانفصالية بين أعضاء المدينة، وهكذا تتشابه جميع المدن الكبرى طالما أنها نشأت في الأصل عن ثقافة واحدة، هذا التشابه هو علامة المرض والتغير والأقول الداخلي (فؤاد بن غضبان: 2014، ص.48). ولذلك نجد أوزفالد شبنجلر يعتقد ومرددا مخاوف زيمل على مدى آثار التسوية، نتيجة الانشغال بالمال وصعود الفكر على نوعية العلاقات الإنسانية (William G. Flanagan, 2010, P.80). فلا يخفى على أحد أن الانشغال بالمال، مهما تعددت طرق كسبه، وحتى صرفه، ستفرز ضغائن وأحقاد متعددة، وأن هذه الضغائن والأحقاد لا تمكث كثيراً حتى تبرز إلى العلن، في صورة سلوكيات عنفية، وهو ما يؤثر كما يقول شبنجلر على العلاقات الإنسانية.

ولكن ما يؤخذ عليه شبنجلر هو اعتقاده أن المدن الكبيرة في عصره تعمل على إفساد نشاط وحيوية وطاقة من يقيم بها، فالحياة الحضرية كما يرى تسبب الانحراف، والسلوك الإجرامي، وإلى جانب ذلك فإنه يعتقد بأنه ومع مرور الوقت تنفصل المدن عن الطبيعة وترتكز أكثر على الثروة، القوة، والمنطق، وكنتيجة لذلك تفقد المدينة طبيعتها القائمة على الروح وتمهارة. وفي هذا الإطار أيضاً فإن ما تؤخذ عليه النظرية النفسية الاجتماعية ككل، هو الالتزام الأديولوجي الواضح لأصحابها الثلاثة فيبر، زيمل وشبنجلر بالنظام الرأسمالي وتمجيده، واعتباره النظام الأمثل للبشرية الذي يجب الحفاظ عليه وإدخال التحسينات والتعديلات به. إلى جانب تأكيدهم على الذهنية الحضرية رغم اختلاف كل منهما في تفسير هذه الذهنية، وبالتالي انكشف تصورهم النفسي الاجتماعي في تحليل ظروف الحياة في المدينة الحديثة. وهو ما يعني اغفالهم باقي الأبعاد المحتملة لتفسير لهذه الذهنية.

4- الخاتمة:

وتوصلنا في خاتمة هذه البحث إلى حوصلة لأهم النتائج المتوصل إليها وهي كما يلي:

بداية يعتبر النموذج الايكولوجي بعيدا عن مقارنة ظاهرة العنف الحضري والسلوك الاجتماعي العنفي للفرد، فبالرغم من أهمية إسهاماته النظرية في مقارنة ظاهرة العنف الحضري، إلا أنه بدأ تحليله من طريق خاطئ، وذلك عندما وجه كل اهتمامه إلى الجوانب الجيوفيزيقية للمدينة وعلاقتها بالعنف الحضري، على أهميتها، دون أن يهتم بالحياة الاجتماعية للأفراد فيها. فالكثير من الدراسات الايكولوجية اهتمت باكتشاف خصائص المناطق المختلفة دون اهتمام بنوع الحياة الذي أدى إلى ظهور هذه الخصائص كمن يهتم بدراسة الجريمة ومسرحها دون اهتمام بالمجرم نفسه.

وجاءت النظرية الايكولوجية السوسيو - ثقافية للتأكيد على دور الثقافة في تحديد السلوك العنفي، وتنطلق من كون الأفراد في تفاعلهم مع الآخرين ومع بيئتهم يخلقون ويعدلون الثقافة التي تضم القيم، المعتقدات، والمعايير التي تحكم الفكر والتفاعل، وأغفلت كون الأفراد أنفسهم قد نشؤ في ظل هذه الثقافة.

ويظهر أن لويس ويرث، كان مبالغا إلى حد كبير في تقدير العلمانية والتفكك كسمات مميزة للمجتمع الحضري، إلى جانب إغفاله العلاقات المتبادلة بين المدينة كنسق فرعي والنسق الاجتماعي الثقافي الشامل والذي تعد جزءا منه، بالرغم من إثراءه للدراسات الإيكولوجية، والتي كانت تركز على المكان وتنظر بالتالي إلى العنف الحضري على أنه نتاج طبيعة المكان ليس إلا، لينتقل إلى فكرة نوعية جديدة، تعتبر من خلالها العنف الحضري على أنه أيضا ناجم عن طبيعة الجماعة وبنائها وتفاعلها مع الوسط الاجتماعي.

في حين ذهبت النظرية النفسية الاجتماعية إلى التأكيد أولا على الذهنية الحضرية ودورها في إبراز وتشكل العنف الحضري، رغم الاختلافات في تفسير هذه الذهنية، إلى جانب تأكيدها على التصور النفسي الاجتماعي في تحليل ظروف الحياة في المدينة الحديثة وأثرها على العنف الحضري، ثانيا، إلا أن ما يعاب عليها هو التزامها الأيديولوجي الواضح بالنظام الرأسمالي وتمجيده، واعتباره النظام الأمثل للبشرية الذي يجب الحفاظ عليه وإدخال التحسينات والتعديلات به.

وأخيرا فإن ما يلاحظ إجمالا أن الباحثين قد ذهبوا في تفسير ظاهرة العنف في الأوساط الحضرية مذاهب عدة، ومن زوايا مختلفة، ولكن المؤكد أن اتجاهاتهم النظرية في دراسة هذه الظاهرة وتفسيرها تستند في معظمها على التجارب التي شهدتها المدن الغربية عبر مسارها التاريخي، ومن ثم فهي تعبر عن واقع تلك المجتمعات وما شهدته من تحولات وتناقضات اجتماعية. وإلى جانب ذلك فإن الملاحظ على هذه النظريات أن كل واحدة منها تناولت العنف الحضري من زاوية واحدة وأغفلت بقية الجوانب الأخرى، في وقت نحن بحاجة إلى منظور متعدد الأبعاد، يتناول ظاهرة العنف الحضري من زوايا متعددة.

- قائمة المراجع:

إبراهيم التوهامي وآخرون(2004)، التهميش والعنف الحضري، قسنطينة، مخبر الإنسان والمدينة، جامعة منتوري قسنطينة.
 إبراهيم فريد الدر، (1983)، الأسس البيولوجية لسلوك الإنسان، ط1، بيروت، منشورات دار الأفق الجديدة.
 أبو الوفا محمد أبو الوفا، (2000)، العنف داخل الأسرة بين الوقاية والتجريم والعقاب في الفقه الإسلامي والقانون الجنائي، دار الجامعة الجديدة للنشر.

أحمد عاطف غيث، (1979)، علم الاجتماع الحضري، مدخل نظري، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.
 إسماعيل قيرة، (2004)، علم الاجتماع الحضري ونظرياته، قسنطينة، منشورات جامعة منتوري.
 أنتوني جيدنز، (2005)، علم الاجتماع، مع مدخلات عربية، ترجمة فايز الصباغ، ط1، بيروت، المنظمة العربية للترجمة.
 البنك الدولي، (2016)، تقرير العنف في المناطق الحضرية: تحد وصل إلى نسب وبائية، نشر يوم 2016/09/06، واطلع عليه في 2019/05/10،

<http://www.albankaldawli.org/ar/news/feature/2016/09/06/urban-violence-a-challenge-of-epidemic-proportions>

جيرالد بريز، (1989)، مجتمع المدينة في البلاد النامية، دراسة في علم الاجتماع الحضري، ترجمة محمد الجوهري، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

حميد خروف وآخرون، (1999)، الإشكالية النظرية والواقع، مجتمع المدينة نموذجا، قسنطينة، منشورات جامعة منتوري.

رشيد بلحاج للإذاعة، عنف المجموعات أخطر مظاهر العنف في مجتمعنا، 2016/10/18،

<http://www.radioalgerie.dz/news/ar/article/20161018/91327.html>

سعید ناصف، (2006)، علم الاجتماع الحضري، المفاهيم والقضايا والمشكلات، ط1، مصر، دار الكتب والوثائق القومية.

السيد عبد العاطي السيد، (1984)، علم الاجتماع الحضري، مدخل نظري، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

عبد الله إبراهيم، (2010)، الاتجاهات والمدارس في علم الاجتماع، ط2، بيروت، المركز الثقافي العربي.

عبد المنعم شوقي، (1981)، مجتمع المدينة، الاجتماع الحضري، ط7، بيروت، دار النهضة العربية.

عبد الهادي محمد والي، (2003)، المدخل إلى علم الاجتماع، القاهرة، دار المصطفى للنشر والتوزيع.

غريب محمد سيد احمد، (2006)، علم الاجتماع الحضري، الأزيطة، دار المعرفة الجامعية.

فادية عمر الجولاني، (1984)، علم الاجتماع الحضري، الرياض، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع.

فؤاد بن غضبان، (2014)، علم الاجتماع الحضري، ط1، عمان، دار الرضوان للنشر والتوزيع.

محمد سعيد عبد المجيد ووجدي شفيق، (2005)، المدخل إلى علم الاجتماع، القاهرة، دار الكتب.

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (1989)، المعجم العربي الأساسي.

وجدي شفيق، (2005)، علم الاجتماع الحضري والصناعي، مصر، دار المصطفى للنشر والتوزيع.

Catherine Colliot, (2006), la sociologie de Max Weber, Paris, La découverte.

Gresle (F), Panoff (M.) et tripier (P.), Dictionnaire des sciences humaines, (1990), sociologie-
psychologie social- anthropologie; Paris, coll, Fernand Nathan.

Michaud (Y), la Violence, (1998), Que sais-je? Paris, Coll.P.U.F.2eme Ed.

Robert (P.), (1978), Dictionnaire le Robert an alphabétique et Analogique de la langue française, Paris,
Société de nouveau livre, (S.N.L).

William G. Flanagan, (2010), Urban Sociology, Images and Structure, 5Ed, Usa: Rowman & littlefield
publishers, Inc.